

الأهداف العليا للتعليم

في المجتمع والحياة

للأستاذ سيد قطب

أعتقد أن الغرض الأول من كل جهودنا في التعليم ، أن نضمن للفرد حياة معقولة قابلة للنمو والترقي ، وأن نضمن للأمة - عن طريق هؤلاء الأفراد - مجتمعا متناسقا قابلا للتعاون الأنساني مع كافة المجتمعات الانسانية .

ولما كان هذا الغرض لا يتحقق ، إلا إذا ضمننا للفرد انسجاما مع روح العصر الذي يعيش فيه ، ومع الظروف التي تحيط به ، ومع الوسط الذي يتعامل معه ، فإن صياغة عقلية الفرد - وبالتالي صياغة عقلية الجيل - بحيث تكون متسجمة مع روح العصر ومع الظروف ومع الوسط تصبح هي الهدف العام الذي يجمع الأهداف الأخرى .

والفرد الذي تنسجم عقليته مع هذه العوامل بالقياس الى مصر . . . هو الفرد الذي يعرف مصر معرفة حقيقية ، أي الذي يلم بكل مقومات الغوية المصرية وبكل ظروف البيئة المصرية كذلك - بقدر ما تسمح كل مرحلة من مراحل التعليم .

ثم هو الفرد الذي يدرك بعد هذا أن مصر واحدة من ممالك العالم العربي التي توشك أن تكون وحدة جامعة - أي الذي يلم بكل العوامل المشتركة بين جميع بلاد الجامعة العربية من تاريخية الى اقتصادية الى ثقافية . . . بقدر ما تسمح كل مرحلة تعليمية كذلك .

ثم هو الفرد الذي يدرك بعد هذا وذلك أن الجامعة العربية - ومنها مصر - إنما هي وحدة في أسرة الانسانية - أي الذي يدرك تشابك المصالح بين جميع بلاد العالم على اختلاف هذه المصالح وتعددتها - بقدر ما تسمح به مرحلة تعليمه أيضا .

ولكي يتم الانسجام بين الفرد وبين العوامل المتقدمة كلها يذفي له كذلك أن يدرك روح العصر الذي يعيش فيه ، والاتجاه الأنساني العام ، ما دامت مصر وما دامت الجامعة العربية كلها وحدة في الأسرة الانسانية العامة .

والعناصر التي تؤلف روح العصر كثيرة ، ولكنها نستطيع أن نؤم الخطوط الرئيسية لها في فقرات قليلة ، فهي

١ - العدالة الاجتماعية

وتختلف المذاهب الاجتماعية التي تريد تحقيق هذه العدالة ولكنها جميعا تهدف إليها - وما دما قد اخترنا المبادئ الديمقراطية ، فيجب إذن أن نتخذ وسائلها لتحقيق هذا العنصر في حياتنا .

٢ - الاتجاه الواقعي

فالتفكير التجريدي ، والتصورات الرومانتيكية كلاهما لا يبدان مكانها إلا بصعوبة في مجتمع الإنسانى الحالى الذى يقبه بكلياته الى الماديات والوقائع ، ويعتمد أولاً على الأحشاء والتجربة . وما دما نعيش في هذا العصر فعلياً أن نرود الفرد بوسائل الحياة والتفكير فيه .

٣ - الأاحساس الأدبى

وقديبدو هذا العنصر غربياً بعد العنصر الثانى . ولكن الواقع أن العالم اليوم بعد الحربين القريبتين ، وبعد الاستغراق فى الماديات ، قد أخذ يتلفت الى العنصر الأدبى فى الحياة يحاول أن يقيم عليه بزيان الانسانية ، بعد ما طغت الماديات فى القرنين الماضيين على تفكيره . وهذا العنصر الذى أخذ يبرز مرة أخرى بين ضجيج الآلات ، وقسوة الماديات لا يذمى لنا إهماله - وبخاصة نحن الشرقيين ولاسيما أن كل دعوات الاستقلال وكل دعوات العدالة الاجتماعية إنما تعتمد على هذا العنصر امتداداً حقيقياً .

تلك هى أهم العناصر التى تؤلف روح العصر ، وهى أهم الأهداف العليا للتعليم ، ولنحيطها فيما يلى :

١ - أن يصاغ الميل التادم بحيث يكون مصرىاً (تحيماً فى نفسه الروح التوهمية) ، عربياً ، ويدرك الصلات المشتركة بين مصر والشرق العربى) ، عالمياً (يدرك الأواصر المشتركة بين الجنس الإنسانى كله والصلات المتشابهة بين أمم العالم) .

٢ - أن يكون ذاها لروح العصر الذى يعيش فيه مدركاً لعناصره الرئيسية . العدالة الاجتماعية . الاتجاه الواقعى . الأاحساس الأدبى .

وهذه العناصر حين تطبق فى المدرسة المصرية تترك آثارها الآتية .

أولاً - فى المناهج

١ - يجب أن تبرز العلية بدراسة الموضوعات التى تتصل بالتاريخ المصرى ، والبيئة المصرية ، وأن يبرز على وجه خاص نصيب مصر فى حضارة العالم القديم والحديث ، كما تبرز للمكثات المهنية لمصر لتساهم فى حضارة المستقبل من جهة ، واتزيد ثروتها وحضارتها الخاصة من جهة ، مع التوسع فى دراسة حالة مصر الاقتصادية والاجتماعية واخترافية وينابع ثروتها وبع ذات شعبها ووسائل معيشتها ، بل خرافاتها وأساطيرها كذلك ، فضلاً على شئ من - بها فى تصور المتخفة . ولاحظ أن تبرز نوحى العظمة ومصور ابتولية

وحددا في سن الطاولة مع التوسع في ذكر الحقائق كاملة كلما تقدمت من التلميذ ومعارفه العامة . فلا تعرض قدرات الاحتلال وتعدد مزاياه ، كما تصنع كتب التاريخ في مدارسنا المصرية .

٢ - يجب أن تدرس بتوسع نسبي كل ما يختص بالشرق العربي - وبخاصة الاسلامي - وأن يستعرض الأواصر والصلات المشتركة القديمة والحديثة ، كما تستعرض السمكيات الاقتصادية والثقافية والسياسية بين جميع بلاد الجامعة العربية . وينبغي بوجه خاص أن يبرز نصيب الإسلام في التاريخ المشترك لهذه البلاد .

٣ - يأتي في المرتبة الثالثة تزويد التلاميذ بملومات عن العالم اقتصاديا وثقافيا وتاريخيا مع العناية بربط مصر والشرق العربي بهذه الملومات على قدر ماتسمح الحقائق الواقعة . وعند ما يستعرض تاريخ الحضارة الانسانية ينبغي أن يبرز على وجه خاص نصيب مصر ونصيب الشرق العربي ، وبخاصة نصيب الإسلام في بناء هذه الحضارة .

٤ - يجب أن يكون لدى التلاميذ فكرة تامة بنسبة نموهم عن الاتجاهات الاجتماعية في العالم ، وعن موقف المجتمع المصري بوجه خاص ، وأن يكون هذا جزءا من مناهج الدراسة بوجه عام .

ورائخ أن ملانج جميع المواد تساهم في تثقيف الأغراض السابقة . ولكنها توزع بصفة خاصة بين مناهج التاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية والعلوم العامة كما تنهض كتب المتطاعة والدراسة الأدبية بنسبها منها .

ثانيا - في أساليب الدراسة وفي روح المدرسة ونظامها

يجب الاتجاه الى عقد صلة حقيقية بين المدرسة والحياة ، فلا تكون جدران المدرسة حائلا دين رؤية الحياة الحقيقية ومعرفتها أساليبها ، وطرق التعامل فيها .

وهذا يقتضى - فضلا عن الموضوعات التي تقدر في المنهج - أن تدرس هذه الموضوعات بروح تطبيقية لانهظرية ، فلا تلتزم على الحقائق التي تعرض يجب أن تتخذ من واقع البيئة لا من محضونات المدرس ، ولا من تجارب قديمة ربما لا تنطبق تماما على البيئة الحاضرة .

وحينا يجعل بعض حوادث السلف مادة لبحث فكرة خاصة يجب أن نعرض نظيرا لها في العصر القريب ، أو أن نبين للتلاميذ مدى إمكان تطبيقها في الحياة الحاضرة - وبخاصة الموضوعات التمهيدية - حتى لا ندع التلميذ مضطربا بين العالمين النظرية الستمدة من حوادث وظروف سالفه وبين واقع الحياة الملوس .

وعلى قدر الامكان - وبحسب نوع الدراسة - ينبغي أن تنتقل الحياة الخارجية ومعاملاتها المادية وملابسها الشخصية الى النشاط المدرسي الداخلي بحيث يكون هذا صرانا عمليا عليه كما ينبغي أن ننقل المعاملات الخارجية وملابسها الى حجرة الدراسة ونجعلها موضعا لتعليق المناقشة وتكوين الآراء العملية .

والمدرس لا يملك ذلك ما لم تكن المناهج الموضوعية قد عقدت صلة في موضوعاتها بين الحياة الواقعة وبين المقررات المدرسية ، ما دام مكاننا أداء واجب معين ودراسة منافع معينة .

٢ - يجب أن تكون الصلة بين التلميذ والمدرس ، ثم بينه وبين المدرسة ، مشجعة على إدراك مبادئ الديمقراطية الحقيقية بحيث يتمتع بنزاهتها في مقابل احتمال تبعاتها وذلك يكون - على وجه خاص - بتكوين مجتمعات مدرسية شبيهة بالمجتمعات الخارجية على قدر الامكان . ثم الوجهة النظرية بدراسة حالة المجتمعات الديمقراطية في البلاد المتعدنية وربما كان المجتمع الاسلامي في عصوره الأولى نموذجا طيبا لتقوية هذه الروح في نفوس تلاميذ مصر بين تربطهم بهذا المجتمع أو اصر وصلات كثيرة .

٣ - تلاوة على ما تتضمنه المناهج من دراسة حالة المجتمع المصري ، والانتجاهات الاجتماعية في العالم ، ينبغي أن يكون المدرس واقفا حين يشرح هذه الموضوعات ، فيستمد شروحه من الوقائع والحقائق الملموسة في الشعب المصري ، ولا يكتفى بجمل خطابية ، ولا بنظريات مجاملة .

٤ - اذا تضمنت المناهج استعراضا للطرق المعيشة في مصر ، ومرافق العمل الاقتصادية كما ينتظر أن يتدخض عنها المستقبل ، فينبغي أن تكون روح المدرسة وتعاليم المدرس مما يفتح استعدادات كل تلميذ للتوجه منذ البداية الى حرفة أو مرافق يناسبه ، وتكون هذه فرصة لدراسة حقيقة ميول التلاميذ واتجاهاتهم ، مع توجيههم الى الوسائل العملية التي يصابون بها الى تحقيق أغراضهم .

٥ - وهذا لاتجاه بالموضوعات المقررة وبطريقة عرضها سيجعل من الأساتذة ومن المشرفين على ادارة المدرسة آباء روجين لتلاميذهم ، لأنهم سيتناولون معهم مشاكلهم الخاصة واتجاهاتهم الشخصية في صدد استعراض مرافق العمل ووسائله ، وحاجات المجتمع الى شتى الكفايات ووسائل استخدامها فيه .

وهذه هي الحقبة المفقودة في المدرسة المصرية ، وفقدانها هو الذي يجعل فترة التلمذة منقطعة عن الحياة العامة ، كما يجعل هناك جفوة بين التلميذ والمدرس وبينه وبين ادارة المدرسة ، لأن الصلة بينه وبين المدرسة صلة جافة ، لا يجد فيها مجالا لاستعراض مشاكله الخاصة ، ولا مشاكل المجتمع القريب الذي يعيش فيه .

وطبيعى أننا لا نستطيع تكليف المدرسة هذا كله إلا إذا سخما لها استقلالاً ذاتياً من جهة ، وراحة فى العمل من جهة أخرى ، ومدرسا صالحا من جهة ثالثة .

ومن هذا الاستعراض يتبين مدى بعد المدرسة بمناهجها ووسائلها الحالية عن تحقيق الأهداف العامة للتعليم . ويتبين كذلك مدى التغيير الشامل الذى يجب أن يتناول المناهج والكتب وطرق الدراسة وروح المدرسة ونظامها .

ولكى تكون روح هذا التغيير عملية أرى أن يشترك فى وضع البرامج اثنا من غير الفنيين فى التعليم كرجال الأعمال والافتصاديين والباحثين الاجتماعيين ورجال السياسة .

ولست برامج مدارس التجارة والهندسة والمدارس الفنية وحدها هى التى تحتاج لهؤلاء الرجال . فبرامج المدرسة الابتدائية والمدرسة الثانوية فى حاجة الى خبرتهم كذلك ، ما دنا نريد أن تصبح المدرسة قطعة من الحياة ، وأن تحقق تعاليمها الانسجام الواجب بين الفرد والبيئة والعصر ، هذا الانسجام الذى بدونه لا يستطيع أن يشق طريقة فى الحياة .

ولكن عمل الفنيين فى التعليم هو تنسيق هذه الاتجاهات وتحويلها الى مناهج ووسائل فى حدود ما تستطيعه المدرسة المصرية . واختيار القدر الممكن من المعلومات لكل مرحلة وكل فرقة ، مع تنسيق هذه المعلومات وتوجيهها بحيث تكون وحدة متعاونة فى جميع المواد فى الفرقة الواحدة ثم فى المرحلة الواحدة ، تؤدى جميعها الى هذه الأهداف مع اختلاف المواد . ثم للتوفيق بين كل مجموعة منها والحالة النفسية للتلميذ فى كل مرحلة وفى كل فرقة . وهو عمل ليس بالهين حين يراد اداؤه على الوجهة الصحيحة ما

سيد قطب

وما قتلنى الحادثات وإنما حياة الفتى فى غير موطنه قتل

« أمام العبد »